

نموذج تطبيقي لتحليل صورة صحفية ثابتة:
(حسب شبكة لوران جيرفيرو) (L. Gervereau)



1- الوصف: هذه الوثيقة هي عبارة عن صورة فوتوغرافية (صحفية)، قامت بنشرها جريدة "القدس العربي" وهي صحيفة "لندن" تأسست عام 1989، ترأسها سناء العالول، تصدر باللّغة العربية، مكان النشر "لندن"، موقعها على الويب "www.alquds.com"، هذه الصحيفة تغطي آخر الأخبار والأحداث. وتقول القدس العربي أنّ مراسليها وكتابها منحازون لقضايا حقوق الإنسان، وحقوق المرأة والطفل واللاجئين، وترفض الطائفية، والعنف والتسيير، وهي تدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني، وتعارض سياسات الاحتلال الإسرائيلي.

وظهرت فكرة تأسيس صحيفة القدس العربي المشروع الفلسطيني أيام كانت منظمة التحرير والانتفاضة في عزمها، وفترة إعلان الدولة الفلسطينية عام 1988، حيث قرّر أصحاب جريدة القدس المحلي إصدار طبعة دولية واختيار "عبد الباري عطوان" ليكون رئيسا لها، من هنا رأى أنه على هذه الجريدة أن تكون قفزة إعلامية حقيقية، كما قرّر من اليوم الأول أن تكون مختلفة، ليست جريدة نظام، بل جريدة العرب، بعد سنة دخل صدام حسين إلى الكويت فأخذ موقفا معاكسا للغالبية الساحقة أي ضدّ أمريكا والمشروع الأمريكي الذي كان يعرف أنه سيدمر المنطقة العربية، في البداية أمسك العصا في منتصفها، وطالب بوجود حل بين العراق والكويت، لكن عندما صدر قرار الجامعة العربية، ووصلت القوات الأمريكية، كتب افتتاحية قال فيها:

"نحن نحب الكويت، لكننا نحب العراق أيضا، وأن القوات الأمريكية جاءت لتحتل العراق، وتهين الشعب العربي ونحن في هذه الحالة ضدّ الخندق الأمريكي"⁽¹⁾.

فهذه الصورة أخذت من الطبعة الإلكترونية للجريدة يوم 02 أفريل 2019، جاءت لتدعيم تقرير بعنوان "يتتحاو قاع".. عبارة عفوية أضحت شعارًا لحراك الجزائر، للصحفي حسام الدين إسلام.

نوعية الصورة، صورة رقمية، واضحة ومن الصعب قيام حجم الصورة نظرًا لطابعها الرقمي، ملتقط الصورة "غير معروف"، وقد تكون تابعة للجريدة ذاتها أو لأي جريدة أخرى، والتقطت هذه الصورة في إحدى جمعيات الحراك الشعبي في الجزائر، الذي ابتداءً في 22 فبراير 2019.

وتحمل هذه الصورة مشهدًا أساسيًا وهو تظاهر حشود من المواطنين الجزائريين في إحدى شوارع العاصمة رافعين الرايات الوطنية، وتتوسط الصورة لافتة كبيرة حمراء تحمل شعار أو عبارة "تنتحاو قاع" مكتوبة باللون الأبيض.

وتظهر الصورة أعدادًا كبيرة من المواطنين معظمهم رجالاً، من مختلف الفئات العمرية خاصة فئة الشباب، والكهول، رافعين شعارات، حاملين ألوان العلم الوطني: الأخضر، والأبيض والأحمر، في جو مشمس، وسماء صافية.

2. مقارنة نسقية:

أ- النسق من الأعلى: التقطت هذه الصورة خلال مظاهرات الحراك الشعبي في الجزائر، وتحديدًا بعد أن أعلن الرئيس الجزائري السابق عبد العزيز بوتفليقة تأجيل الانتخابات الرئاسية، والعدول عن الترشح لولاية خامسة، وأثناء تقرير ميداني لقناة سكاي نيوز عربية، "عربية sky news"، بث على الهواء مباشرة يوم 11 مارس 2019، لمعرفة رأي الشارع الجزائري في القرارات التي أعلنها بوتفليقة قبل نحو أسبوع لتهدئة المحتجين الذين يتظاهرون منذ 22 فبراير ضد استمراره بالحكم، قاطع الشاب سفيان بكير (33 سنة) المذيع في نقلها المباشر، ليقول، إنّ

(1) القدس العربي، موسوعة ويكيبيديا، www.ar.wikipedia.org.

رسالة بوتفليقة ليست كفيلا قائلاً بانفعال: "يتنحوا قاع" ورفض الشاب الغاضب، طلب المذيع، أن يتحدث بلغة عربية قائلاً لها "مانعرفش هذه لهجتنا الدارجة تاغنا، "يتنحوا قاع"⁽¹⁾.

ب- **النسق من الأسفل:** بالنظر إلى الشعار الواضح الذي تحمله الصورة، "تنحوا قاع" فقد عرفت توزيعاً واسعاً وقت إنتاجها، وانتشرت هذه العبارة في تلك الليلة، وتحولت إلى "هاشتاغ" في مواقع التواصل الاجتماعي كتويتر وفيسبوك، وانتشرت انتشاراً عالمياً، وتحولت لأغاني ولافتات ورسومات كاريكاتيرية، يرفعها وينشرها الناشطون في المظاهرات الحراكية في الجزائر، وقد قام ممثلون جزائريون برفع الشعار في مهرجان كان 2019 الدولي في طبعته 72.

وقد قام أحد المحررين في "ويكيبيديا" الفرنسية بإنشاء صفحة بالفرنسية عن الشعار في 27 جوان 2019 ليكون أول ظهور لهذه الجملة في موسوعة "ويكيبيديا"⁽²⁾.

وقد تحولت صفحة الشاب الجزائري "يتنحوا قاع" إلى أغنية "هاشتاغ" اجتاحت تويتر، وقد كتب الإعلامي "محمد علال" على صفحته تحت هاشتاغ "يتنحوا قاع" ما يلي: إنها جمعة "يتنحوا قاع" الشعار رقم "1" في جمعة 15 مارس، التي عرفت اكتظاظاً كبيراً، الملايين خرجت اليوم لمواصلة المسيرة، واللافت للانتباه هو ظهور شعارات جديدة تعكس وحدة صف الشعب أمام إصرار النظام على تجاهل المطالب الرئيسية للشعب.

وكتب حمزة دباح تدوينة قال فيها: "تأصيل علمي للعبارة المطلبية الأيقونية: يتنحوا قاع" هي من الكلمة العربية "قاع" أي أقصى عمق الشيء، واستعيرت الكلمة للتعبير عن الكلية بمعنى كل شيء، وصولاً حتى القاع، تنطق القاف مثل الجيم المصرية".

وعلى موقع يوتيوب، حولت صرخة هاشتاغ، إلى أغنية روميكس تضمنت صرخة الشاب، وردّ الصحافية عليه، بصورة فنية، ساخرة، ولقي الفيديو تفاعلاً كبيراً بين الناشطين⁽³⁾. وأصبح الشاب سفيان محل اهتمام وسائل الإعلام، فقد قامت "الجزيرة نت" بمحاورته لأنه أصبح إحدى أيقونات الحراك الشعبي، فقد هزّ الشارع في مداخلته التي لم تتجاوز الثلاثين

(1) رصيف 22، يتنحوا قاع، عندما يتحول شباب بسيط لأيقونة الحراك في الجزائر، www.rassef22.net/article، موسوعة

ويكيبيديا، www.ar.wikipedia.org

(2) موسوعة ويكيبيديا، "يتنحوا قاع" www.ar.m.wikipedia.org

(3) أصوات مغربية، يتنحوا قاع: صرخة جزائرية تحولت إلى هاشتاغ وأغنية، www.magrebvoices.com

ثانية، واختفى تماما، رافضا الظهور في أي وسيلة إعلامية، فهو لم يتوقع أن يحدث غضبه ذلك كل تلك الضجة في مواقع التواصل الاجتماعي.

ويقول سفيان في حديثه "للجزيرة نت"، داخل منزله المتواضع بأحد الأحياء الشعبية بالعاصمة، الجزائر، إنه كان يقصد بعبارة "يتحاو قاع" كل السلطة، مشيرا إلى أن ذلك مطلب كل الجزائريين الذين خرجوا في الشوارع.

انتشرت العبارة عبر موقع فيسبوك على شكل صور وتعليقات، كما حقق فيديو مداخلته مئات الآلاف من المشاهدين في ظرف قياسي. وخرج المتظاهرون في الجمعة التي تلت تدخل سفيان رافعين شعار "يتحاو قاع"، ويعتبر الكثيرون أن هذا الشاب كان مصدر إلهام المحتجين الذين رفعوا لافتات طبعت عليها صورة سفيان، كما تفتنوا في كتابة التعليقات عليها، بينما حاول نشطاء فيسبوك الوصول إلى الشاب للتعرف عليه وسماع قصته، وسبب غضبه الكبير الذي تجلّى في عبارته الشهيرة⁽¹⁾.

3. التفسير:

• المعاني الأولية والمعاني التضمينية: تحمل هذه الصورة معاني سطحية أولية، وأخرى عميقة ثانوية، ومن المعاني الأولية التي تتضمنها كونها صورة مأخوذة من عمق الحراك الشعبي في الجزائر، تعبّر عن اكتظاظ الشارع بالمتظاهرين، رافعين الرايات الوطنية، والألوان الوطنية، الأبيض، الأخضر والأحمر، تكلمة لسلسلة المظاهرات المنتظمة التي اعتزم الحراك على تنظيمها كل جمعة، بكل سلمية، وتظهر للعيان لافتة "يتحاو قاع" أو "تنتحاو قاع" في صفة المخاطب، (أي خطاب مباشر للسلطات: يجب أن ترحلوا).

ومن المعاني التضمينية التي تحملها هذه الصورة أنّ الحراك متواصل ولا بديل له من أجل التغيير، وجاءت لافتة "تنتحاو قاع" تكلمة لمطالب الحراك التي تطوّرت، وتغيّرت، منذ بدايته، هذا الحراك الذي ينتج خطابه الخاص، إذ يقود هذه المسيرات شباب جامعي متعلم متتبع للأحداث، وبالتالي فهو يتفاعل مع التطورات التي تحدث في الساحة السياسية ويضع الشعارات التي تحولت في أبعادها ودلالاتها إلى برامج سياسية يمكن الاعتماد عليها كوصفات للخروج من الأزمة.

(1) الجزيرة نت تحاور الشاب الجزائري صاحب عبارة "يتحاو قاع" www.aljazeera.net

وقال البروفيسور في علم الاجتماع الثقافي يوسف حنطلي (جامعة البليدة 2) لنتفق أولاً على أن الحراك كانت بدايته مرتبطة بطلب سياسي معين، وهو رفض جماعي وموحد للعهد الخامسة، لذلك فإن الحراك ومن خلال عقله الذي يفكر به جعله يلجأ لرد فعل على نشاط القائمين بالسلطة، وهو ما جعل المطالب تتغير وفق الإستراتيجية السياسية، أي بعبارة أخرى فإن الحراك هو عبارة عن نشاط فردي داخل الجماعة مرتبط بمسيرات ترفع فيها الشعارات وتتنوع وفق استجابة الطرف الآخر. وأضاف: يجب أن لا نغفل الجانب الافتراضي في هذه الشعارات، ذلك لأن مواقع التواصل الاجتماعي وفيسبوك على وجه التحديد شكلت خلفية ثقافية وإعلامية لهذا النوع من النشاط حتى ما قبل بدء الحراك الشعبي في 22 فبراير الماضي. فقد جرى تهيئة الحراك الشعبي بصياغة لغوية معينة من خلال الفضاء الأزرق الذي كان متنفساً أو فضاء لهذا التعبير الحر⁽¹⁾.

• **الحوصلة والتقييمات الشخصية:** بالنظر إلى العناصر المستخرجة أثناء الوصف ودراسة السياق، يمكن استخلاص ما يلي:

- هذه الصورة تعبر بعمق عن مطالب الحراك الشعبي الجزائري، من جهة، وعن جديته واستمراريته، وإحاحه على خلق التغيير من جهة أخرى، ويمكن استخلاص مجموعة من "القيم" من الصورة أهمها:

- "**الوطنية**": يظهر جلياً أن المتظاهرين متمسكون بوطنهم، اجتمعوا واحتشدوا على شيء هو "التغيير"، وهذا رغم اختلافهم في الأعمار، والمستوى الثقافي، والرتبة الاجتماعية، والانتماء الجغرافي، والثقافي، والإيديولوجي، إلا أن "حب الوطن" جمعهم في مكان واحد، في يوم واحد، في مطالب واحدة، مواصلين ذلك دون تراجع. ومن رموز الوطنية الظاهرة على الصورة هي ألوان العلم الوطني الجزائري التي برزت بقوة من خلال الرايات المرفوعة، والثياب الملبوسة، التي تضاف إليها أكسسوارات بالألوان الوطنية، كالقبعات، وإسوارات اليد، والوشاح،... الخ.

- "**الصمود**": تظهر الصورة صمود المتظاهرين وإصرارهم على مواصلة التظاهر، رغم قساوة الجو من حر وبرد، وأكثر ما يظهر هذه الصفة هي اكتظاظ الشارع بالمتظاهرين على اختلاف أعمارهم.

(1) عياش سنوسي، شعارات حراك الجزائر... أكبر من بيان وأشبه بدستور، www.aljazeera.net.

- "السلمية": تظهر الصورة سلمية المظاهرات في حراك الجزائر، ويبدو ذلك من خلال الهدوء التام البادي على المتظاهرين، وهذا ما حقق نجاحه، وجعله محل حديث الإعلام الوطني والأجنبي.

- "الشجاعة": تظهر الصورة شجاعة المتظاهرين، ووقفهم نداءً للنظام، دون خوف، ولا تردّد.

الخلاصة: تنتمي هذه الصورة إلى مجموعة الصور الصحفية الملتقطة أثناء الحراك الشعبي في الجزائر، وهي مفعمة بالمعاني، ومشبعة بالدلالات، التي تنصب كلها في رغبة الشباب المتظاهرين في خلق التغيير في بلادهم على جميع الأصعدة بدءًا بالصعيد السياسي، وتظهر الصورة قوّة الحراك ونجاحه، وصموده، وسلميته، وتلاحم الشعب الجزائري لأن قضيته واحدة، ووطنه واحد، كما تثبت الصورة أن مطالب الحراك مستمدة من عمق المجتمع، مثلما يبدو ذلك من خلال شعار "تتنحوا فاع" الذي يعبر عن صرخة شاب جزائري بسيط.